

متى يتدخل الحشد الشعبي لحسم معركة الأنبار؟

■ حميدي العبدالله

أول مرة منذ الاحتلال الأميركي للعراق يهجر سكان الرمادي بهذا العدد الكبير. لا شك أنّ أعمال العنف المختلفة، والمقاومة التي انطلقت ضدّ قوات الاحتلال خلقت وضعا صعبا للعراقيين في غالبية المناطق، ولا سيما في محافظة الأنبار التي تمثل مدينة الرمادي عاصمتها. ولكن نادرا ما حصلت موجة تهجير من هذه المحافظة، وتحديدأً من مدينة الرمادي بهذا العدد الكبير.

هجرة سكان الرمادي سببها الخوف والقلق من أن لا تكون حاميته الحالية قادرة على صدّ محاولات «داعش» السيطرة على كامل المدينة بما في ذلك الأحياء المحيطة بالمجمع الحكومي، ولتدارك مجزرة مروعة غادر هذا العدد الكبير منازلهم فرغين، ويأملون أن يتحسن الوضع الأمني وتحسم معركة الرمادي والأنبار لكي يعودوا من جديد. لكن على الرغم من تصريحات المسؤولين التي تحاول إشاعة حال من الأطمئنان، وعلى الرغم من التعزيزات العسكرية التي وصلت إلى حامية مدينة الرمادي، إلاّ أنّ ذلك لم يبثّد قلق المواطنين، ولم يخل دون ملاحظتهم ترك منازلهم والبحث عن الإقامة في مناطق آمنة. أو على الأقلّ لا يتهددهم خطر الانجراف «داعش» لها.

سكان الرمادي على وجه الخصوص ليس لديهم قناة ولا رهان على قدرة الجيش وقوات العتشار الموجودة الآن في المحافظة وفي مدينة الرمادي على صدّ الهجوم المحتمل من قبل «داعش»، وياتوا على قناة بأنّ تسليح المحافظة أيضا غير كاف لأنّ هذه المحافظة كانت منذ فترة طويلة ملأنا أمنًا للجماعات الإرهابية وتنظيم «داعش». وبعضهم ومنهم زعماء عشائر في المحافظة، يناشدون الحشد الشعبي التدخل لحسم المعركة وإعادة الأمان إلى الرمادي وإلى محافظة الأنبار، ولكن حتى هذه اللحظة لم يلبّ الحشد الشعبي هذه النداءات، فلماذا؟

لحشد الشعبي شروط، الشرط الأول، أنّ يطلب سكان الرمادي صراحةً من الحشد الشعبي التدخل لإنقاذهم، وأن يأتي هذا الطلب على لسان زعماء العشائر وجهها المدينة. الشرط الثاني، لا يكون هناك أيّ اعتراض على نوع وحجم المشاركة. الشرط الثالث، أن لا يكون هناك أيّ دعم أو تدخل من قبل دول التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة، لأنّ الحشد لا يتدخل حتى يتدخلت قوات التحالف ويوجه لها الأهتمام بدعم «داعش». إذا لم تلبّ هذه الشروط لن يتدخل الحشد الشعبي، لكن الحكومة العراقية، وسكان محافظة الأنبار هم الآن أمام خيار من اثنين لا ثالث لهما: إما قبول شروط الحشد الشعبي، أو السماح لـ«داعش» بالسيطرة على الرمادي وعلى محافظة الأنبار. ذلك لأنه لن هناك أيّ جهة عراقية أو خارجية لديها قدرة على تأمين قوات برية قادرة على إلحاق الهزيمة بـ«داعش». وكلّما تأخر الوقت وزادت المخاطر، كلما توفرت أكثر ظروف ملائمة لخط استجابة لـ«الحشد الشعبي».

في هذا الإطار يوضّح التصعيد بالقتف السعودي

■ روزانا رمال

أقلس بنك الأهداف السعودي في الحرب على اليمن، واقتلس معه الذرائع والحيث العسكرية، فلا الحوئي يردّ ولا هي تنتصر، ولم يتغيّر شيء سوى دمار هائل ومشهد مربع من الركام وإشلاء البشر المبعثرة في أحياء الناس.

يلفت في هذا الإطار التصعيد غير المسبوق الذي تقوده السعودية بطائراتها، فقد بلغ القصف ابعد مدى وأكثر أذى وحصداً للأرواح، حتى وصلت الحصيلة في يوم واحد إلى أكثر من 600 ضحية بين شهداء وجرحى من المدنيين اليمنيين، حيث دُمّر حيّ سكني بأكمله في صنعاء، بعد استهدافه بقنابل فراغية وأسلحة فتاكة.

الصورة التي انتشرت والكاميرات التي استطاعت تصوير لحظة القصف الجوي تظهر الكمّ الهائل من المتفجرات التي كانت تسقط على الجبال فتغيّر معالمها تشدّة فتكها وقدرتها التدميرية.

لا تعبت السعودية في هذا المشهد هباءً، فهي تعرف جيداً أنّ الوقت طال وأنّ الحرب الجوية نفذت فيها ما يمكن أن تعوّل عليه كامل تحقيق مكسب مقلل كان لا بدّ أن تظهر في أيّ يوم أيام الحرب، اي بالاستفادة من مهابتها وعنصر المفاجأة عسكريا على زمام الأمور كطرف مهاجم عسكريا.

عاش لبنان فترة مماثلة في عدة حروب شدّت عليه من قبل العدو «الاسرائيلي» كان أشهرها عدوان 1996 وما حفظ منه في الذاكرة من مجازر أشهرها مجزرة قانا واعتداء 2006 وحفظ منه أيضا مجزرة قانا 2011...

في اليوم 27 للحرب «الاسرائيلية» على حزب الله كما اسمتها طلبت تل أبيب تمديدا من الولايات المتحدة فاتصل يهود أولمرت رئيس الوزراء حينها بكوندوليزا رايس وزيرة خارجية ادارة بوش الابن، وكان أن اعطت واشنطن تل ابيب ما تريد فمدّت لها قرابة اأسبوع.

ضاق الحنّاق على «اسرائيل» وأفرغت أهدافها لكنها لم تفلح في ان يكون هذا التمديد مكسبا يغيّر مجرى الحرب، فعمدت الى التصعيد والقصف على المدنيين بطريقة جنونية، حتى عرف أن آخر ايام الحرب كانت الأشدّ صرارة وسقاسة على الجنوبيين، وقد حصد العدو الأكبر من الضحايا، وسعت «اسرائيل» خلاله إلى البحث عن هدف بشري يحرك الرأى العام الدولي ويضغط عليها لتتوقف فتاكت مجازر قانا 1 وقانا 2 كيش الفداء وتعالّت صرخات المجتمع الدولي ان حان الوقت ليتوقف العدوان ويجتمع مجلس الأمن من أجل ذلك.

بعين المراقب أو العارف أو المنسق مع حلفائها تصفرف السعودية بذات الأسلوب، وهي اليوم تكثف طلعاتها الجوية وتتصدّد حصد اكبر عدد ممكن من الأرواح لتكون عنصرا ضاغطا على المجتمع الدولي فيقول لها «كفى... لم يعد يحق الاستمرار لأنّ التراجع بالنسبة إلى السعوديين علنا غير وارد وان سعت اليه يجدي الطاوله.

أول البيور أظهرت من أوروبا حيث أعلنت المانيا عن عدم تأييدها لهذه الحرب فدعا وزير خارجيتها فرانك فالتر شتاينماير إلى عقد مؤتمر دولي للسلام بخصوص اليمن، مستعيذا أنّ ينجح الخيار العسكري في حل الأزمة اليمنية.

من جهة دعا بان كي مون أمين عام الامم المتحدة إلى وقف فوري لاطلاق النار في اليمن. يبدو أنّ التصعيد في اليمن وإراقة الدماء وتصدّد قتل اكبر عدد ممكن من الميمنين هو هدف عسكري مضمونه سياسي تستمدّج صراخ العالم ليردع الرياض التي لا يبدو انها تستراجع بسهولة، وبالتالي تستمرّ الحرب باحتمالاتها كافة حتى تنضج سويات وفرص تؤمّن لال سعود من خلالها مخرجا مقبولا بعد إغفاهم في تحقيق أهداف العدوان، إنّ كان لناحية تقدّم الحوثيين او القضاء على مقدراتهم العسكرية التي لم تمسّ حتى الساعة...

«توب نيوز»

مجزرة قانا اليمينية

لن تتفع الكذبة السعودية عن استهداف مستودع صواريخ سكود في أحد الأحياء الشعبية في صنعاء لتبرير المجزرة التي سقط فيها ستماية يعني رجالا ونساء وأطفالا.

الوقائع المرتبطة بحجم ونوعية التفجير والدمار الخائمين عن القنبلة التي أسقطها الطيران السعودي فوق صنعاء تقول إنّ قنبلة فراغية القيت على أحد أحيائها وتسببت بهذا الموت والدمار.إفصاية مستودع صواريخ تعني تفجيرات متعددة ومتلاحقة وليس تفجيرا واحدا بضربة واحدة.

المتابعون من صدقاء السعودية سجلوا ما جرى كمجزرة بحق المدنيين وفي مقدّمتهم المانيا ومنظمات حقوقية دولية.

الذرائع السعودية تشبه الذرائع «الاسرائيلية» في حربي لبنان وغزة عن وجود السلاح والمحلحين بين المدنيين كسبب لسقوط الضحايا، والسؤال هل قرّرت السعودية التحريك اليمنيين من الحوثيين بإيادة اليمن لأنه إذا سالت «اسرائيل» ذات السؤال تجيب بنعم فليمت نصف سكان الكرة الأرضية لأنّ أمن «اسرائيل» أهمّ، فهل تقول السعودية إنها تعترف بإيادة اليمنيين وهذه طرفيتها لحمايتهم وتحريضهم؟ يريد السعوديون الذين أفلست تربهم أن تخبّتر فرص ضغط شعبي على النوار واستدراج مساع دولية لوقف النار.

قانا يمينة...

التعليق السياسي

البناء

ديمغرافية الشتات الفلسطيني إلى أين؟

■ رامز مصطفي

بعد خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت العام 1982، شهدت الساحة الفلسطينية حالة من بده التيه الفلسطيني في العديد من الدول العربية. ولكن في هذه المرحلة الواهنة تشهد الحالة الفلسطينية الأسوأ حيث التخجّط والارتباك، أكثر من تحدّ، وخصوصا في المغرّب عنها في المخيمات. هذا الفشل الذي عكس نفسه مباشرة على إرادة الحادّ يشكل أحد أخطر تجلياته، ولكنه ليس وحده المسؤول عن هذه الحالة، لأنه في الأساس هو منتج الفصائل، وحتى لا نعلم، هو منتج البعض المتنفذ في الساحة الفلسطينية الذي غلب مصالحه على ما سواها من المصالح العليا للشعب الفلسطيني. وهذه الحالة من المؤسف أنها لن تقضي إلا إلى نتيجة جدّ مؤلمة وقاسية، وهي تlashي ديمغرافيا الشتات الفلسطيني بشكل تدريجي في البلدان المأوية. والمغرّب عنها في مخيمات دول الطوق لفلسطين، أو بالجمّعات التي ضمتهم في الدول البعيدة نسبيّا عنها. ومن دون الإسهاب في سرد مصائب ما تعرّض له الشتات الفلسطيني. فعلى الرغم من الخطاب السياسي الفلسطيني، الذي يؤكّد باستمرار على لزوم شتات اللاجئين وبرهم في عملية الكفاح الوطني الفلسطيني، نلاحظ أنّ هذا الخطاب لا يتوازى في ترجماته العملية في صون وحماية الشتات من الضياع، إذا لم نقل شطبه من معادلة الصراع مع الكيان الصهيوني، الذي يعمل جاهدًا على هذا الأمر بكل ما أوتي من وسائل نحو تحقيق قضيّة اللجوء التي كانت ولا تزال تشكل مصدر قلق له على الدوام. وتشهد كل المتعطفات والمراحل التي مرّ بها شتات اللاجئين، على أنّ أداء القيادة اللدولية التي مرّ مسيحتها لم تكن على مستوى تحمّل مسؤولياتها اتجاه هذا الشتات الذي تعرّض ومنذ منتصف السبعينات إلى أخطر عملية طهش منهج. من الحرب في لبنان 1975، والتي شرّدت الآلاف ودُمّرت خلالها مخيمات وجمّعات فلسطينية. إلى الكوتيت التي تشيّد بسبب احتلال العراق لها عام 1990 وحرب الخليج الثانية 1991 حوالي 450 ألف فلسطيني، وترتهم الكوتيت على خلفية تاييد منظمة التحرير ورئيسها ياسر عرفات للضمّ للعراق. ومن العراق الذي هرب منه الفلسطينيون على خلفية عمليات الغار التي شهدها العراق بعد سقوط نظام صدام عام 2003. إلى مخيم نهر البارد الذي دُمّر عن بكرة أبيه عام 2007 بعد أن دخل إليه تنظيم «فتح الإسلام» واعتدى على الجيش اللبناني.

المشهد تركز في سورية منذ بداية الأحداث فيها على يد المجموعات المسلحة وعناوين مشغلبيا من جهات اقليمية ودولية، ومؤكّد «الاسرائيلية» ليست بعيدة عن ذلك. وعلى وقع هذه الأحداث التي أشعلتها هذه المجموعات التي اختلعت عن عدم العمل الفلسطيني ومخيماته من أخلت الدخول إلى العديد منها في درعا ودمشق وريفها إلى حلب. وكان الإبرز بين كل هذه المخيمات، مخيم البروك الذي سقط بيد المسلحين اإرهابي العام 2012. خاصةً مخيم البروك أنه يتمتع بأهمية استثنائية كونه على تماس مباشر مع العاصمة دمشق، وهذا ما عبر عنه صرح صبرا رئيس ما سُمّي بـ«الإنتلاف السوري» آنذاك، حين صرح «أنّ لأحد يمنعنا من دخول مخيم البروك فهذه أرض صوري، وستكون المطلق باتجاه عمق العاصمة دمشق». ومنذ ذاك التاريخ يتقاسم المخيم والمعاينة مشهدان، دون تعدل في البكّة الجديدة، والعلامة التي دفعوا لعاد كبيرة منه ومن سائر مخيمات سورية إلى البحث عن ملجأ وملاذ آمن، حتى ولو كان في المنافي البعيدة التي لم يصلوا إليها إلا بعد أنّ دفع الكثيرون من أهجرته على التراجع.

« الأسد» على موعد قريب مع التاريخ...!

■ سومر منير صالح*

ما أشبه اليوم بالأمس، أحداثٌ سياسية تتطوّر دراماتيكيّا في منطقة «الشرق الأوسط»، وأزماتٌ تعصف بالملطقة، حروبٌ وثوراتٌ، وثوراتٌ مضادة، محظت معها فشلًا دوليًّا في احتواء الأزمات، فشلٌ تقفّد معه المشهد الأزموي، وبات الكلّ يبتظر المعجزات لتحلّ الأزمات. فلا فرق واضحًا حتى الآن لأحداث مشهد الدم والخراب الممتدّ على كامل الجغرافيا الإقليميّة، وكما قال السيد حسن نصر الله من يمتلك الصبر الاستراتيجي هو من سيبتصر. صبرٌ استراتيجيّ دام عشر سنوات بين العامين 1979 – 1989 أنتج انتصارا سوريا . إيرانيا على المستوى الإقليميّ في مواجهة العسكر السعودي - العراقيّ آنذاك، ذاته الصبر الاستراتيجي، وذاتها الدولتان الحليقتان سورية وإيران، والأكيد هو النصر الاستراتيجي المرقب.

لنعد قليلا إلى نهاية السبعينات من القرن المنصرم، ثورة إسلامية في إيران تطيح بتشاد أميركا وحليف الخليج، تهبّ فور إعلانها الوليات المتحدة وحلفاؤها الخليجيون لإجهاضها، وتتوتر العلاقات الخليجية الإيرانية على إثرها، توتر حمل معه إرادة التخريب المباشر لكل من أيد الثورة باعتبارها خيار شعب بغض النظر عن ايديولوجيتها الدينية أو السياسيّة، ابتداءً من لبنان إلى سورية، عبر دعم ميليشيا «الإخوان المسلمين» الإرهابية في سورية، وتسيير نار الحرب الأهلية اللبنانية، في محاولة عزل إيران عن محيطها، وأولكت مهمة إجهاش السوري الإيراني إلى رئيس النظام العراقي السابق صدام حسين الذي شرّ حربا بالوكالة الخليجية على الجمهورية الإسلامية الفتية، توتّط العراق بعدها في الحرب، وعملت الولايات المتحدة عبر احتواء مزودج للحرب، واشتدّت الأزمة السياسية والاقتصادية في سورية على خلفية موقعها الداعم لإيران، «الموقف والتوجه المعادي لإسرائيل»، وتدخلها في لبنان لإيقاف الحرب الأهلية الدائرة هناك، وصدّ العدوان «الإسرائيلي» على بيروت الذي أزال إسقاط كل لبنان، صمودٌ أسطوريّ للحليقين طهران ودمشق في فترات الصراع الممتدّ من العام 1980 – 1988...

في العام 1988، وتمكّن الجيش السوري من إيقاف الحرب الأهلية تقريبا في لبنان وصدّ العدوان «الإسرائيلي» عليه وإسقاط اتفاقية 17 أيار 1983 بمساعدة قوى وطنية لبنانية لم تدعّن أميركا وإسرائيل إعلانا، فاندركت المكلة السعودية حينها أنّ الانتصار المشترك السوري - الإيرانيّ بات قريبا، فحثت الخطى بدعم أميركيّ

حياة أعزاء لهم قضوا غرقاً في البحار البعيدة عن وطنهم فلسطين، والثاني تمثل في فشل الفصائل الفلسطينية ومنظمة التحرير والسلطة في صوغ رؤية موحدة من أجل مواجهة ما يتعرّض له الوجود الفلسطيني في سورية، الذي لا يتفصل عما يحاك له من مؤامرة تدمير حق العودة، وشطب اللجوء الفلسطيني وشتاته وعناوينه المغرّب عنها في المخيمات.

هذا الفشل الذي عكس نفسه مباشرة على إرادة الفلسطينيين في التمسك بمخيماتهم، بل على العكس هذا الفشل ساهم في إحباط الفلسطينيي من دفعهم وتوجيه إلى ترك مخيماتهم، وبالتالي دفعهم إلى اللجوء القريب والبعيد. هذا الفشل دفع أيضا الفصائل للتعايش مع فكرة إيجاد الحلول البديلة والتي تمثلت في إنجاز اتفاقات بقيت في عالم الافتراض والأمنيات والأحلام بسبب رفض المصاميع المسلحة لهذه الاتفاقات على مدار السنين والنصف الماضي. من دون أن تضع هذه الفصائل في حساباتها البديل في حال رفضت المجموعات المسلحة لهذه الاتفاقات، وهي وبالتالي وفلت الوقت لصالحها من خلال تثبيت تواجدها وقلب الأوضاع داخل المخيم لصالح سمّيات مسلحة أكثر عدائية للقضية الفلسطينية، بل لقضايا العرب عموما. وهذا ما استيقظ عليه من تبقّي من أبناء المخيم المنكوب من فلسطينيين وسوريين صبيحة الأول من نيسان الجاري، عندما اجتاحت مجموعات كبيرة من تنظيم ما يسمّى «داعش» المخيم بتعاون لصيق من «تواها» «جبهة النصر»، في مواجهة دموية مع جماعة «أكناف بيت المقدس».

هذا التطور الدراماتيكيّ للأحداث في مخيم البرموك دفع حرك من جديد الفصائل والمنظمة والسلطة نحو البحث في هذا المستجد الخطير جدا، وضرورة توحيد الرؤية في التعامل معه ومواجهته بتبنتى الطرق والسبل بما فيها الحلّ العسكري. وقد أبدت رئاسة السلطة مخيم لافتة في معالجة الأمر بالوسائل العسكرية بعد أنّ أسقطت المجموعات المسلحة سبل الحلّ السياسي والاتفاق على تحديد المخيم والاختلّ من السلاح والمسلحين. فاؤفدت كما في المرات السابقة الدكتور أحمد المجدلاني الذي اتصل بقيادة فلسطينية موجودة في دمشق قبل وصوله وأبلغها أنه يحمل رسالة تفويض من الأخ أبو مازن رئيس السلطة الفلسطينية في القيادة السورية، وهي التعامل مع تطورات مخيم البرموك المستجدة، وذلك وفق مقضيّات السيادة السورية على أراضيها. على اعتبار أنّ المخيم جزء من هذه السيادة، وعند وصول الدكتور المجدلاني أجرى العديد من اللقاءات مع القيادات السورية وأبلغهم الموقف الرسمي الفلسطيني. وهذا الموقف أبلغ للفصائل عندما اجتمعت في دمشق مساء الأربعاء 8 نيسان الجاري لهذه الغاية. واتفق على أنّ السبيل الوحيد لطرد «داعش والنصرة» من البرموك هو العمل العسكري، وهذا ما أكد عليه في مؤتمره الصحافي في دمشق في اليوم التالي، والمؤسف أنّه لم تخص 24 ساعة على ما تفعل عليه في دمشق، إلا وأقدمت رئاسة منظمة التحرير على التزوّد من الاتفاق، وأنها غير معنية بذلك، ولا توافق على عمل عسكري ضدّ «العواش والنصرة» وتحرير المخيم. هذا الموقف الذي خلق أجواء متوترّة ومشخوثة بسبب استمرار الشرخ الحاصل في الموقف الفلسطيني، والمعلومات تؤكّد أنّ الضغوط التي مارسها الدول ذات النفوذ والقلق المادي العربي، والتي هذت بوقف الإذم المادي الذي كان في طريقه إلى السلطة إذا ما استمرت في توفير الغطاء للدولة السورية، وهكذا كان في أنّ انقلب رئيس السلطة والمنظمة في أنّ وأجبرته على التراجع.

على ضوء هذا المشهد المشذب، هل هي مقدور طرح سؤال على وقع الضخّ الأمني والإعلامي حول مخيم عين الحلوة، ماذا ستكون حالة الحالة الفلسطينية الرسمية في حال وقوع معركة لهذا المخيم لا سمح الله؟ وهنا نقفّ ضوء التجارب العاشية، لا أحد يستطيع أن يضمن شيئا؛ عندها أين ستصحب ديموغرافية الشتات الفلسطيني؟

تشهد لاملحه انطلاقاً من اختراقات مؤتمّر موسكو التفاوضي، وكما كان اتفاق الطائف هو نتيجة الختوف السعودي من انتصار سورية في لبنان، فجنيف 3 وما يليه وما يشابهه هو نتيجة الخوف والوقياا السعودية من انتصار سورية مجددا، والفرق بين الحالتين هو أنّ سورية كانت مستعدة للتفاوض في لبنان على قاعدة أولوية إنهاء الصراع هناك، إنّهائها غير مستعدة للتفاوض على أراضيها وشعبها، ولكن من الجانب التفاوضي على ملفات أخرى تحددها القيادة السورية لاحقا، وعلى قاعدة عدم العمن بالخطء وشراء الانتصار، هذا التزوّد السعودي من انتصار المحور المقاوم قادها إلى خطا استراتيجيّ بخطونها المستعقّ البعني، وهذا الخطأ هو نتيجة توريط أميركيّ تركي للملكة الأردنية واستبدال الدور السعودي بدور تركي أكثر عقلانية في إدارة الصراع مع إيران النووية، في سياربيوات سبق مناقشتها إعلاميا وصحافيّا، لكن عدم الرّدّ البعني أفضل العدوان برمته، ومع التحالف التركيّ الأميركيّ من تحقيق أهدافه في الملكة إلى حدّ الآن، هنا نتوقع من باب التحليل النظريّ الضمنيّ ظهورا «داعشيا» داخل الملكة، ضمن نصفي «السمعة في الضحايا» التي تبنتها «داعش»، لتحقيق ذات الأهداف في للإرهاب في المنطقة؛ قد انقلبت على حليفتها في الحرب الظالملة على سورية الملكة السعودية الوهابية كما انقلب عليها صدام حسين سابقا في العام 1990. هنا تظهر عبقريّة القائد العظام مجددا، واقتناص لحظات في التاريخ، يتغيّر معها المستقبل، فسورية تمثل الحربة الأولى في الحرب على الإرهاب «الداعشي»، والثابت أنّ سورية لن تغيّر موقعها في مكافحة الإرهاب، فالسياسة السورية تحكمها المبادئ لا الأتحاد، فمن يريد أن يتنصر على «داعش وأخوانها» لا بد من زيارة دمشق مجددا، دمشق التي اكتسبت رغم الجراح والدمار خبرة لا مثيل لها في مكافحة الإرهاب «الداعشي» ومستقتها، زيارة خليجية مرتقبة إلى دمشق سيكون معها المستقبل مغايرا لتاريخ قريب، ممبّتا الانتصار السوري، وكما تهاقت حكام الخليج إلى القائد الرالح حافظ الأسد بيلوتسولنه إنقاذهم من براثن صدام حسين، يليهم السابق، وكان معه إعلان دمشق في العام 1990، سبتهفات أبناء مؤلاة الحكام وهم كحماك الخليج اليوم إلى دمشق يسولون «القائد بشارة الحل، وإخراجهم عليهم وتدمير بلدانهم... ومعه سيكون إعلان دمشق مجددا، عنوانه الانتصار السوري، والخيبة السعودية والعقاب الدوليّ لتركها العثمانية...

^{باحث بدرجة الدكتوراه} في العلوم السياسية

أراء

الحرب العربية- العربية ووضف الروابط

■ محمد ح. الحاج

بداية القرن الثامن عشر انتقل الجدّ الأول لآل سعود من الكوت جنوب العراق، وكان يعيش في كنف آل الصباح الذين كانت تحميهم بريطانيا، إلى أراضي نجد واستوطن في الدرعية، ويورد كثير من المؤرّخين المهتمّين أصول العائلة إلى تجار اندردوا من الشمال – (الأناضول) وبعضهم يذكر أنّهم ينتسبون إلى الدومنه (اليهود العراقيّ، أعلنوا إسلامهم في تركيا وانتشرت منهم عائلات كثيرة في مناطق الامبراطورية العثمانية)، وربما يذكر أكثر من مؤرّخ أنّ أحد جدود العائلة يُدعى مردخاي.

انطلق ابن سعود عبر مناطق نجد غازياً بحدّ السيف مرتكباً مجازر بحق قبائلها وسكانها المحليين، وبعد العام 1933، حيث كان يحكم الدرعية ومحيطها إلى فتح العناط الأخرى في بلاد نجد والحجاز معتمدا فتوى ابن عبد الوهاب الذي التحق بالّ سعود قادما من الجنوب العراقيّ، بعد أن طرده أبوه وأخوه، وكان قد التقى الجاسوس البريطاني اليهودي هيمفر الذي وجهه البريطانيون لتلقينه مبادئ اللتوم على أيدي مذهب جديد، وهكذا وضع مع ابن سعود على اقتسام الفتوح، وجرى ذلك طبقا لخطة وضعها البريطانيون، وفي الربع الأخير من ذلك القرن سيطر ابن سعود على كامل شبه جزيرة العرب بعد أن قتل زعماء القبائل وسباهم وفرض على آخرين الطاعة، ولم يكتف بذلك بل اتجه شمالا وغربا مستندا إلى دعم بريطانيا حتى وصلت طلائع قواته إلى مشارف دمشق الجنوبية (1803) وقطع طرق الحجّ السوريّة والمصريّة ما دفع السلطان العثماني لاستنجداب محمد علي باشا الذي أرسل حملته الأولى بقيادة ابن طولون، ثم حملته الثانية بقيادة ابراهيم الذي تمكن من دحر الوهابيين السعوديين عام 1813، كما تحرّرت مناطق واسعة من نجد والحجاز من نفوذهم وعادوا إلى ملجأهم الأول في الدرعية مع استمرارهم في الغزو والتهب وقتال العشائر الأخرى.

لم يظهر آل سعود ثانية إلا في نهاية القرن التاسع عشر وقد كانوا الورة الاحتياط بيد بريطانيا التي عاتت إلى تزويدهم بالمال والسلاح بعد أن تمّ اكتشاف النفط وما تحترّنه الصرء العربية من احتياطات، ولعبت الامبراطورية العتريّة ورقتها بعد عقد اتفاقيات سرية مع أشرفا مكة وعلى رأسهم الشريف حسين وشدته إلى محاربة العثمانيين وملاحقتهم شمالا عبر الأردن وبغامة في الوقت الذي دفع آل سعود إلى مهاجمة آل الرشيد وانتصارهم من الأشراف وحكام المناطق في نجد والحجاز، وارتكبوا مجازر بشعة تشمتت على أثرها هؤلاء، ولم يعد من آل الشريف حسين أحد إلى وطنه بعد أن بسط الدرعيون سلطتهم بالسيف والسلاح البريطاني الحديث، وهكذا اعترفت به الولايات المتحدة عام 1935 وعقدت مع عبد العزيز آل سعود مؤسس الدولة الدومية إتفاقيات تلزمه وأبناءه وأحفاده بتنفيذها، وكما تعهد خطيا «على تصحب الساعة» أيّ إلى يوم القيامة.

وإذا كان آل سعود لم يتابعوا سيرتهم فلأنهم بعد الاتفاق مع الولايات المتحدة واكتشاف النفط والثروات استداروا إلى جني الثروات وبدلا من مهاجمة الجوار لجأوا إلى التأمّر والديستاس، وسجل التاريخ الحديث صفحات عديدة عن صراعمهم مع مصر والعراق في النصف الثاني من القرن العشرين، وتاليهم الدول الغربية على عبد الناصر ومحاولة اغتياله بأدوات محلية من «الإخوان المسلمين»، كما أنهم دفعوا العدو الصهيوني إلى مهاجمة مصر عام 1967، وهذا ثابت في رسالة الملك فيصل إلى الرئيس الأميركيّ جونسون، والتي نشرتها الخارجية الأميركية قبل سنوات، وقد تعهد بموجبها أنّ يدفع تكاليف الحرب وتعويضات ضحايا سيطرته على الخ القصة وقد تمّ نشرها سابقا.

أنّ يتأمّر آل سعود على الشام ويحاولون وضع يدهم على لبنان، أمر لا غرابة فيه بعد أن تمكّنوا من تكديس ثروات هائلة أنفقوا الكثير منها لشراء «ثقافتهم» الدومية المسيطنة على فتاوى تناقض العقل والتطوّر الإنساني، وبعد أن سيطروا على دول الخليج، ومصر ودول إسلامية كبيرة عن طريق المال والمعونات، ولأنهم لا يتقنون بإبناء المنطقة التي أقاموا عليها مملكتهم، أنشأوا لهم جيشا أغلبه مرتزقة من دول أخرى يزعم أنهم من «الامة الإسلامية» وعليهم واجب الدفاع عن الحرمين الشريفين، والحقيقة أنّهم للدفاع عن عرض آل سعود.

يبدو أنّ ما تمتع به كبار آل سعود من حكمة ودهاء سياسيين وعزوف عن خوض غمار الحروب بعد حرب الستينات من القرن الماضي في اليمن، افتقده اليوم الحكام الجدد الذين لا خبرة لهم وربما يدفع بهم الغرور والغطرسة وأكادس السلاح إلى ركوب موجة الحروب ومهاجمة الآخرين وقد بدأوا هم اليمن الأعرق حضارة، لكنها الأكثر فقرا، إذ لم ينفع الإغراء والرشوة مع شعبها وقياداته الجديدة الشابية، وهكذا أكمل آل سعود الفول وعادوا إلى الأصول، أصولهم القبيلة – التلمودية – القائمة على الغزو والقتل والغاء الأخرّ مؤكداً انتهاهم إلى نفس الفتّة التي وصمها التاريخ بالآكثر إفسادا في الأرض والأكثر خبثا ودهاء، وإذا كان اليهود يستطيعون تجنيد القوى الكبرى في العالم لخوض حروبهم، فإنّ السعوديين سلّكو الطريق ذاته بمواجهة دولة صغيرة بقدراتها، وحشدوا ششرات الدول بمواجهتها لتدمير بنتيتها الختية ومقومات الحياة فيها.

ثلاثون يوما من العربدية جوا، تماما كما يفعل العدو الصهيوني بداية كل حرب يشنها، الفرق أنّ الصهيوني كان يهاجم برأ بعد أن يمارس سياسة الأرض المحروقة، واعتقد أنه لن يكرّر ذلك بعد تجربتين فاشلتين في لبنان وغزة، وبعد أنّ دفع ثمنا باهظا، قد يدفع السعوديون أكثر منه إنّ تجزّأوا وقرّروا هجوما بریا إلا لا يدفعوا جيش دول أخرى إلى القيام بما يعجزون عنه، وبذلك يدفعون المنطقة إلى حرب طاحنة تجزّ دولا أخرى إلى أوتوها، ولا تجانب الصواب إذا قلنا إنّ الموقف السعودي على مساحة المنطقة شرقية إنما الهدف منه هو جر العدو إلى إيراانية قبل أن تلفظهم المنطقة وشعبها وهم تخطط للمشاركة فيها، ليس خوفا إنّما لإدراك القادة الإيرانيين أنها لا تخدم إلا العدو الصهيوني، وأنّ من يعمل لها إنما يؤكّد ارتباطه بالمشاريع الصهيونية والتنسيق مع قادة الكيان، متجاهلا ما يتهدد المناطق المقدّسة مسيحيا وإسلاميا في الأرض المحتلة، وأنّ هذه المقدسات لا تقلّ قيمة عند كل أبناء المنطقة الشرقية عن الحرمين الشريفين، وليتذكّر آل سعود أنّ القدس هي أولى القبلتين، فليوقفوا تأمرهم المكشوف عليها ويسحبوا تنازلهم عنها قبل أن تلفظهم المنطقة وشعبها وهم على شفا حفرة من السقوط.

لا شك أنّ من أهم أسباب ما تعانيه المنطقة العربية هو ما عملت له السعودية على مدى عقود من إضعاف الروابط القومية بين أمم العالم العربي ومحاولة خلق أمة وهمية تقوم على رابط الدين وهو الرابط الأضعف في العالم المتحصّر، لكنه الأقلّ في أيّ عالم متخلّف. هامش: لا يصدقنّ أحد في منطقتنا أنّ أحداً من أبناء عبد العزيز أو أحفاده يجروّ على مهاجمة الشام أو الاقتراب من حدودها، وليتذكروا النبوءة: أنه على أبواب دمشق نهاية «إسرائيل» يوم تصرخ صرخة الأشجار... يا عبد الله... هذا يهودي يخبئي خلفي... بالأحرى هي ليست نهاية اليهود، بل قبلهم أودّتهم ومن يقف معهم وتمتدّ يد بسوء إلى الشام المقدّسة.